اثر مفردة (الماء) في القصص القرآني

الباحث
علي كاظم منهي الفياض
جامعة الكوفة /كلية الفقه

أثر مفردة (الماء) في القصص القرآني

مدخل

لما كانت الكلمة بوصفها لفظاً أو لبنةً يعتمد عليها السياق من خلال تراصها مع أخواتها ،فهي تدخل السياق من أجل مهمة معنوية، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالخطاب القرآني ، فقد أخذ الأخير أدق الألفاظ دلالةً ، وأتمها تصويراً ، وإذا استنفذت اللغة طاقاتها ، فإن الكلمة القرآنية تتسع للمعنى متسمةً بالجرس والوزن والإيقاع (١) وحين تدخل الكلمة التي يدور عليها المعنى في النص القرآني القصصي ،فانّها تمنح القصة حيوية دلاليةً وتتجه إليها أواصر النص لتكون بؤرة الإشعاع التي تستدير حولها أحداث القصة القرآنية ؛ لأنّ الكلمات هي الوسيلة الأساس فهم معنى النص (٢)، والأداة التي يرتبط بها السياق ،ولولاها لظل النص مبهماً فارغاً من محتواه ، فإذا أردنا أن نسرد قصة واضحة المعاني سهلة المضمون بعيدة عن التكلف ، فلا بد من أن نختار لها كلمات ذات دلالات تتلاءم مع هيئة القصة ومضمونها لتكون معروفة لدى المتلقي والسامع معاً، ومسبوكةً بمفردات تجعلها أكثر وقعاً وأكثر إثارة ، وكل هذا مهم في ربط عناصر القصة حتى وان كانت هذه القصة خيالية وجب على القاص أن يختار المفردة في زمانها ومكانها المناسب ، أما في القرآن الكريم وهو الكتاب المعجز الذي انزل من السماء إلى الأرض فإننا إذا تأملنا النصوص المباركة نجد فيها القصة التي تسرد قضيةً معينةً فتصورها لنا وكأنّ الأحداث ماثلةً أمام عيني المتلقي والسامع بصورة مرئية ، فكل كلمة تقرأها تجد هنالك عبرةً من وجودها ، وأنّها المؤثر في تحريك النص أي أنّ حركة الكلمة أدت دورا مهما في السياق القرآني، وهذا ما نلحظه في مفردة (الماء) التي كان لها اثر قوي وإيحائية شديدة في التأثير في القارئ للنص القرآني وعند متابعة الحوار القرآني الكريم نجد الشخصية القرآنية هنا قد أخذت مستويين ، الشخصية ذات المستوى الواحد وهي التي نعني بها (غير المعقدة ، ....وتمثل صفةً أو عاطفةً واحدة وتظل سائدةً من مبدأ القصة حتى نهايتها) (٣)،ونجد أنّ مفردة (الماء) كانت قطب الرحى في كثير من النصوص القرآنية ؛ لأن (الماء) المخلوق الأول الذي خلقه الله (عز وجل) ثم منه خلق باقي الأحياء بما فيهم الملائكة والجن فهو أصل

الكون(٤)،لذلك تؤثر الكلمة كثيراً في سياق القصص القرآني وتعطي لمعنى الآية وضوحاً وسلاسةً في الإفادة من العبر التي يرويها لنا القرآن الكريم عن الأمم الغابرة ، قال الإمام علي (عليه السلام):(تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه انفع القصص) (٥) وقد أثرت مفردة (الماء) باشتقاقاتها المتعددة في سياق القصص القرآني ، وسوف يبين البحث من خلال إيراد بعض القصص وكيف أثرت حركة كلمة (الماء) في النص القرآني ، فقد دخلت مفردة (الماء) على القصة القرآنية وأسبغت على المعنى وضوحاً وسهولةً في الفهم، ثم أعطت عنصراً مهماً وهو التشويق للنفس بوصفه العنصر المهم في حياة الإنسان ، والسبب الأساس لديمومته وسوف يتناول البحث مجموعة من القصص القرآنية ليتضح لنا دور مفردة (الماء) وكيف كان لها الأثر الكبير في أحداث هذه القصص:

أولاً: قصة النبي نوح (عليه السلام) وأثر الماء فيها

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٦) ، حينما أرسل (الله تعالى) نبيه نوحاً (عليه السلام) إلى قومه ودعاه إلى طاعة الله (عز وجل) وتقواه فإنّ دعوته لم تجد أذنا تسمعها أو لبٌ يفهمها فاستكبروا على نبيهم الأكرم ، فجاء على لسان نوح (عليه السلام) قوله تعالى : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً)(٧) فقد جسد الشخصية القصصية ذات المستوى الواحد ونعني بها غير المعقدة التي تكون على مبدأ واحد وتظل سائدة من أول القصة حتى نهايتها هو النبي نوح (علية السلام) وكان هنالك نوع ثاني في القصة وهي الشخصيات النامية (التي تتطور وتنمو قليلاً بصراعها مع الأحداث أو المجتمع فتتكشف للقارئ كلما تقدمت في القصة) (٨) ، ثم إذا أردت أن تتابع هذا الأمر فإنك تقف على الحوار الذي كان بين الله سبحانه وتعالى ونوح (عليه السلام) ، حيث بدأ الحوار الإلهي بالإخبار كما في قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٩) ، وكأنّ الإشارة إلى العذاب الأليم تمثلت بمجيء الطوفان الذي يدخل (الماء) العنصر الأساس فيه لتنفيذ المرام الإلهي ، الأمر الذي دعا نبي الله نوح (عليه السلام) بإيحاء من الله (عز وجل) إلى صنع الفلك ، ثم يبدأ الحوار بين نبي الله نوح والشخصيات النامية ، كما جاء في قوله تعالى :(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)(١٠) ، فثمة علاقة بين العذاب الأليم والإنذار المبين ولم يكن الله(سبحانه وتعالى) محققاً العذاب إلا بعد الإنذار لتلك الشخصيات التي أسميناها النامية وكانت تتطور وتنمو مع الأحداث ولكن هذا التطور كان تطوراً سلبياً لذلك أنزل الله (سبحانه وتعالى) عقوبته عليهم في الطوفان وكان ذلك واضحاً جلياً من خلال حوار نبي الله نوح مع الله (سبحانه وتعالى) كما جاء في الآيات المباركة :

(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ

جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً * قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً) (١١)

ثم بين النص القرآني تطور هذه الشخصيات نحو السلب حيث بين نبي الله نوح (عليه السلام) إلى الله (جل وعلا) ما كانت عليه تصرفاتهم كما جاء في قوله تعالى :

(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً) (١٢)

ثم إنتهى حوار نوح (عليه السلام) مع ربه (جل وعلا) بدعائه وطلبه من الله (سبحانه وتعالى) ألا تذرهم يعبثوا في الأرض كما جاء في قوله تعالى :

(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً) (١٣)

ونجد أنّ نهاية هذا الحوار قد بين لنا أ نّ شخصية نوح (عليه السلام) كانت شخصية ثابتة على الإيمان بينما كان قومه يمثلون الشخصيات النامية لوقوفهم موقفا سلبيا خلال مجريات أحداث القصة التي جاءت وكأنها تعرض واقع مسرحية درامية فكانت نهايتها لتعبر عن غضب الله (سبحانه وتعالى) على أولئك الذين تمادوا في غيهم ، فكان الحدث مرتبط با لمنطق الدرامي، ونجد الإعجاز هنا فبالمسرحية البشرية مثلاً (لابد أن يرتبط تتابع الحدث بالشخصيات بحيث تتسم الحركة الخارجية للأحداث مع الحركة الباطنية النفسية للشخصيات أنفسهم حتى يكون منطق المسرحية مثلاً نابعاً من نفس الانفعال والتي لا طريق لعرضها سوى الحوار) (١٤)، بينما نجد هذا الأمر في القصص القرآني يمثل إعجازا إذ أصبحت الحركة الخارجية للأحداث هي صنع الفلك لأمر الله (سبحانه وتعالى)ومثلت الحركة الباطنية النفسية للشخصيات الرافضة للإيمان فجاء أمر الله (سبحانه وتعالى) بالحدث ، فكانت كلمة (الماء) متمثلةً بالطوفان الذي هو الباعث الأساس لذروة الحدث المتمثل بهول الطوفان ، كما جاء في قوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ(١٥)) (١٦) ، جاء في تفسير هذه الآية المباركة ، (عن أبى رزين ألأسدي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أنّ نوحا عليه السلام لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه

وبين ربه في إهلاك قومه أن يفور التنور ففار التنور في بيت امرأة فقالت : إن التنور قد فار فقام إليه فختمه فقام الماء وأدخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج ثم جاء إلى ... خاتمه فنزعه، يقول الله ع ز وجل: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر . قال: وكان نجره في وسط مسجدكم. ولقد نقص عن ذرعه سبع ة مائة ذراع . أقول: وكون فوران التنور علامة له عليه السلام يعلم به اقتراب الطوفان من الوقوع و اقع في عدة من روايات الخاصة والعامة وسياق الآية : (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) (١٧) ، لا يخلو من ظهور في كونه ميعادا . وفيه بإسناده عن إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان شريعة نوح أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهى الفطرة التي فطر الناس عليها وأخذ الله ميثاقه على نوح والنبيين أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ولا يشركوا به شيئا وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرائض مواريث فهذه شريعته. فلبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم سرا وعلانية فلما أبوا وعتوا قال : (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) (١٨) فأوحى الله عز وجل إليه : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (١٩) ، فذلك قول نوح: (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) فأوحى الله إليه : أن اصنع الفلك . أقول: ورواه العياشي عن ا لجعفي مرسلا وظاهر الرواية أن له عليه السلام دعاءين على قومه أحدهما وهو أولهما قوله : (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ)(٢٠) ، وثانيهما بعد ما أيأسه الله من إيمان قومه وهو قوله : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً)(٢١) .وفي معاني الأخبار بإسناده عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)(٢٢) قال: كانوا ثمانية. أقول: ورواه العياشي أيضا عن حمران عنه عليه السلام، وللناس في عددهم أقوال آخر : ستة أو سبعة أو عشرة أو اثنان وسبعون أو ثمانون ولا دليل على شيء منها . وفي العيون بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : قال الرضا عليه السلام : لما هبط نوح إلى الأرض كان نوح وولده ومن تبعه ثمانين نفسا فبنى حيث نزل قرية فسماها قرية الثمانين . أقول: ولا تنافى بين الروايتين لجواز كون ما عدا الثمانية من أهل نوح (عليه السلام) وقد عمر ما يقرب من ألف سنة يومئذ .وفيه بإسناده عن الحسن بن على الوشاء عن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول: قال أبى: قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله (عز وجل) قال لنوح : (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ...) (٢٣) ؛لأنه كان مخالفا له، وجعل من اتبعه من أهله . قال: وسألني كيف يقرؤن هذه الآية في ابن نوح ؟ فقلت : يقرؤها الناس على وجهين: إنه عمل غير صالح، وإنه عمل غير صالح. فقال: كذبوا هو ابنه ولكن الله نفاه عنه حين خالفه في دينه. أقول: ولعله (عليه السلام) يشير بقوله: (وجعل من اتبعه من أهله) إلى قوله تعالى : (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)(٢٤) . فإن الظاهر أن المراد بأهله جميع من نجا معه . وكأنّ المراد من قراءة الآية تفسيرها والراوي يشير بإيراد

القراءتين إلى تفسير من فسر الآية بأن المراد أن امرأة نوح حملت الابن من غيره فألحقه بفراشه ولذلك قرأ بعضهم : (ونادى نوح ابنها) أو (ونادى نوح ابنه) بفتح الهاء مخفف ابنها ونسبوا القراءتين إلى علي وبعض الأئمة من ولده عليهم السلام . قال في الكشاف: وقرأ علي (عليه السلام) (ابنها) والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير (ابنه) بفتح الهاء يريدان (ابنها) فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة : سألته فقال: والله ما كان ابنه فقلت : إن الله حكى عنه (إن ابني من أهلي) وأنت تقول: لم يكن ابنه، وأهل الكتاب لا يختلفون أنه كان ابنه ! فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب ؟ واستدل بقوله من أهلي ولم يقل: مني... وعن أبى عبد الله عليه السلام في قول الله : (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ) (٢٥) (ونادى نوح ابنه) قال ليس بابنه إنما هو ابن امرأته وهى لغة طي يقولون لابن امرأته : ابنه. وعن الرضا عليه السلام . وفيه عن إبراهيم بن أبى العلاء عن أحدهما عليهما السلام قال: لما قال الله: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٢٦) قالت الأرض: إنما أمرت أن أبلع مائي أنا فقط، ولم أؤمر أن أبلع ماء السماء فبلعت الأرض ماءها وبقى ماء السماء فصير بحرا حول الدنيا وفيه عن أبى بصير عن أبى الحسن موسى عليه السلام في حديث ذكر فيه الجودي قال : وهو جبل بالموصل. وفيه عن المفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السلام (استوت على الجودي) هو فرات الكوفة.) (٢٧) .

واللافت للنظر أنّك تجد تكامل عناصر القصة القرآنية مبثوثة في سور أخرى فيظهر لك جليا تكامل الموضوع ، ووحدته ، ووحدة القصة القرآنية بينما لا نجد الأمر ذاته في القصة البشرية التي تتطلب تتابع في الأحداث تكتب في زمان واحد (٢٨)، فترى أنّ هذه القصة التي كان محورها حركة (الماء) جاءت أيضا في سورة هود كما في قوله تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) (٢٩) ، وكان الماء هنا بأمر الله (سبحانه وتعالى) قد تغيرت وظيفته من مصدر لنمو الحياة إلى سبب لفنائها وحمل الخير والنأي به بعيداً إلى حيث إرادة الله سبحانه وتعالى لرسوا السفينة بعد أن أنجى الله نبيه والذين امنوا معه من أمواج (الماء) العاتية كما جاء في قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ) (٣٠) ، وكما كان ذلك واضحاً جلياً من خلال ما جاء بتفسير الآية المباركة كما مر بناء قبل قليل . فلو تأملنا في أحداث الآيات السابقة ومجرياتها وأمعنا النظر بصورة دقيقة في قصة نوح (عليه السلام) مع قومه لوجدنا أنّ دلالات مفردة الماء (الغرق ، الطوفان) كانت المحور الأساسي في أحداث هذه القصة من خلال ما نلحظه في الدلالة الإيحائية من خلال ما جاء بسياق النص القرآني من مفردات ، الطوفان وصنع الفلك وحوار نبي الله نوح (عليه السلام) مع ابنه وهروبه من الماء ، وغيرها كلها كانت أموراً مسيطرة على مجريات القصة ومن خلالها نلحظ أن (الماء) وحركته كانت طاغية على مجريات القصة ، وقد جاء في

تفسيرها : (أنّها تبيّن حال المشركين وتعرضهم في الحال ابتلائهم بالطوفان والبلاء درساً وعبرة للآخرين ، ولهذا فإنّها فرضتهم غائبين وفرضت الباقين حضور اً. وقال البعض الآخر : إنّ النكتة هي عدم الاعتناء بهؤلاء وتحقيرهم، حيث أن الله سبحانه قد قبل حضور هؤلاء وخاطبهم. ثمّ أبعدهم عنه وتركهم. ويحتمل أيضاً أن تكون الآية بمثابة تجسيم طبيعي عن وضع الناس، فما داموا جالسين في السفينة ولم يبتعدوا عن الساحل فإنّهم في إطار المجتمع، وعلى هذا يمكن أن يكونوا مخاطبين، أمّا عندما تبعدهم السفينة عن الساحل، ويختفون عن الأنظار تدريجياً، فإنّهم يعتبرون كالغائبين، وهذا في الواقع تجسيم حي لحالتين مختلفتين عند هؤلاء . إنّ جملة (أحيط بهم) تعني أنّ هؤلاء قد أحاطت بهم الأمواج المتلا طمة من كل جانب، إلاّ أنّها هنا كناية عن الهلاك والفناء الحتمي لهؤلاء.)(٣١) .

ثانيا : قصة النبي موسى (عليه السلام) وأثر مفردة (الماء) فيها :

ذكر الشكلاني (توما شفسكي) في مقاله (نظرية الأغراض) معرفا المتن الحكائي : (بأنه مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل) (٣٢) ، ووجد ان المبنى الحكائي يتألف من الأحداث نفسها بيد انه يراعي نظام ظهورها في العمل كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا) (٣٣) ، فلما كانت قصص النبي موسى (عليه السلام) المتعددة مرتبطة بالماء وكان ا لماء حاملا للتابوت من أجل النجاة كما جاء في قوله تعالى (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّ هُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (٣٤) ، وقد جاء في تفسير هذه الآية المباركة : ((...وممّا جاء في الرّوايات والتواريخ، أنّ أُمّ موسى (عليه السلام) قد ألقت الصندوق الذي كان فيه موسى وهي في حالة من الخوف والقلق، وحملته أمواج النيل، وأخذ قلب أم موسى يخفق من مشاهدة هذا المنظر، إلاّ أنّ الله ق د ألهم قلبها أن لا يدع للهم والحزن إليه طريقاً، فهو سبحانه سيعيده إليها في النهاية سالماً .وكان قصر فرعون قد بني على جانب شط النيل، ويحتمل أن فرعاً من هذا النهر العظيم كان يمر داخل قصره، فحملت أمواج المياه الصندوق إلى ذلك الفرع الصغير، وبينما كان فرعون و زوجته على حافة الماء ينظرون إلى الأمواج، وإذا بهذا الصندوق الغريب يلفت انتباههما، فأمر جنوده أن يخرجوا الصندوق من الماء، فلمّا فتحوا الصندوق شاهدوا بكامل العجب مولوداً جميلا فيه، وهو شيء لم يكن بالحسبان . وهنا تنبه فرعون إلى أن هذا الوليد ينبغي أن يكون من بني إسرائيل، وإنما لاقى هذا المصير خوفاً من جلاوزته ، فأمر بقتله ، إلاّ أنّ زوجته ـ التي كانت عقيماً ـ تعلقت جدّاً بالطفل، فقد نفذ النور الذي كان ينبعث من عيني الطفل إلى زوايا قلبها، وجذبها إليه، فضربت على يد فرعون وطلبت منه أن يصرف النظر عن قتله، وعبرت عن هذا الطفل بأنّه (قرّة عين)، بل وتمادت في طلبها، فطلبت منه أن يتخذاه ولداً ليكون مبعث أمل لهما، ويكبر في أحضانهما، وأصرّت على طلبها

حتى أصابت سهامها، وحققت ما تصبو إليه .غير أن الطفل جاع، وأراد لبناً، فاخذ يبكي ويذرف الدموع، فرق قلب امرأة فرعون لهذه الدموع والبكاء واهتز، ولا محيص من أن يبحث الخدم عن مرضعة له، إلاّ أنّهم كلما جاءوه بمرضعة لم يقبل ثديها، لأن الله سبحانه كان قد قدر أن يعيده إلى أُمّه، فهب المأمورون للبحث من جديد، وكانوا يطرقون الأبواب بحثاً عن مرضع جديدة. والآن نقرأ بقية القصة على ضوء الآيات الشريفة :نعم يا موسى، فإنّا كنّا قدرنا أن تتربى بأعيننا وعلمنا (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ) بأمر أمُك لتراقب مصيرك، فرأت جنود فرعون: (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ) وربّما أضافت بأن هذه المرأة لها لبن نظيف، وأنا مطمئنة بأن هذا الرضيع سيقبلها. فاستبشر الجنود على أمل أن يجدوا ضالتهم عن هذا الطريق، فذهبوا معها، فأطلعت أُخت موسى ـ والتي كانت تظهر نفسها بمظهر الشخص الغريب والمجهول ـ أُمّها على الأمر، فجاءت أُمّه إلى بلاط فرعون، من دون أن تفقد سيطرتها على أعصابها، بالرغم من أن أمواجاً من الحب والأمل كانت قد أحاطت بكل قلبها، واحتضنت الطفل، فلمّا شم الطفل رائحة أُمّه، وكانت رائحة مألوفة لديه، التقم ثديها كأنّه تضمن لذة الروح وحلاوتها، واشتغل الطفل بشرب اللبن بلهفة وعشق شديدين، فانطلقت صرخات الفرح من الحاضرين، وبدت آثار الفرح والسرور على زوجة فرعون.)) (٣٥) .وقد جاء في تفسير آخر لهذه الآيات المباركة: (((أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (٣٦) ، فلما حملت أم موسى به (عليه السلام) لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تفطن لها الدايات ولكن لما وضعته ذكرا ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعا وشرعا قال الله تعالى: (... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ...) فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقي في خلدها وأنفث في روعها كما قال تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٣٧) وذلك أنّه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدا وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها. ولهذا قال: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ...) (٣٨) ... وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزن قال الله تعالى : (... وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (٣٩) وقلتم أنتم لو شاء فرعون أن يكون لموسى وليا وناصرا والله تعالى يقول :(لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً)(٤٠).وقوله تعالى:(وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))(٤١) (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ

قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ)(٤٢)، يعني أنّ فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون فقالت : (قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ) ، فقال فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه . وقوله: (عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا) وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه . وقوله : (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) أي أرادت أن تتخذه ولدا وتتبناه وذلك أنه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة. (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٤٣) ، (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (٤٤) ،(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) (٤٥) ، (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٤٦) ، يقول تعالى مخبرا عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغا أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) (٤٧) أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى : (لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) ،أي أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي ما يقال لها فقالت لها (قصيه) أي اتبعي أثره وخذي خبره وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك (فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ) (٤٨) قال ابن عباس عن جانب . وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعد . وقال قتادة جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثديا وأبى أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها . قال الله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ...) (٤٩) ، أي تحريما قدريا وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه ولان الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) (٥٠) ، قال ابن عباس : فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت إن لي بعلا وأولادا ولا أقدر على المقام عندك ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلاة والكساوى والإحسان

الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا في عز وجاه ورزق دار ولهذا جاء في الحديث " مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها " ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه والله أعلم فسبحان من بيده الأمر ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجا، ولهذا قال تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ...) (٥١) أي به (وَلَا تَحْزَنَ) أي عليه (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعا وشرعا .)) (٥٢) ، من خلال ما جاء بالتفسير نج د أنّ (ماء البحر) في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) كان فيها (الماء) منقذ المتقيين ومهلك الطاغيين ، فتجلت الرحمة الربانية في إنقاذ موسى ومن معه ، وهلاك فرعون وصحبه ، كما جاء في قوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْ رَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) (٥٣) ، وجاء في تفسير الآية القرآنية المباركة : (قصة موسى (ع): وقصه فرعون مع بني إسرائيل في البحر. ولا نعلم جملة ما قال ابن عباس : أن الله أوحى إلى موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ) (٥٤) فسرى موسى ببني إسرائيل ليلا " فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) (٥٥) في ألف ألف حصان سوى الأثاث. وكان موسى في ستمائة ألف. فلما عاينهم قال :(إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ)(٥٦)...فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هو برهج دواب فرعون "،(قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ...) (٥٧) هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه ، (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٥٨) قال فأوحى الله إلى موسى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) (٥٩) ، وأوحى إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك . قال فبات البحر له أفكل أي له رعدة له يدري من أي جوانبه يضربه . قال فقال يوشع لموسى (ع) بماذا أمرت قال : أمرت أن اضرب البحر . قال فاضربه. فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان اثنا عشر طريقا كالطود العظيم فك ان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فلما اخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا قالوا لموسى : أصحابنا لا نراهم. فقال لهم: سيروا فأنهم على طريق مثل طريقكم. فقالوا لا نرضى حتى نراهم. فيقال إن موسى قال لله تعالى: اللهم اعني على أخلاقهم السيئة. فأوحى الله إليه انقل ... بعصاك هكذا يمينا وشمالا ، فصار فيها كوى ينظر بعضهم إلى بعض . قال ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر . فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو وأصحابه ... وقيل لموسى ترك البحر رهوا أي طرقا على حاله. ودخل فرعون وقومه البحر فلما دخل آخر قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا. (٦٠) ثم كان (للماء) دور أيضا في زواج نبي الله موسى (عليه السلام) بعد لقاءه بأبنة شعيب (عليه السلام) قرب البئر (ماء مدين) ، كما جاء في قوله تعالى : (ولَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا

خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) (٦١) ، لو تأملنا قليلا في مجريات قصة ورود نبي الله موسى (عليه السلام) إلى (ماء) مدين ، نرى إن (الماء) كان سببا مباشرا في زواجه وتغير مجرى حياة موسى (عليه السلام) وبذلك ينقلنا هذا الحدث إلى تغير في مجريات القصة القرآنية التي تحكي لنا قصة نبي الله موسى (عليه السلام) ، وقد جاء في تفسير هذه الآية المباركة ، (أنّ موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين قال ما خطبكما فحدثتاه فأتى الصخرة فرفعها وحده ثم استقى فلم يستق الا دلوا واحدا حتى رويت الغنم فرجعت المرأتان إلى أبيهم ا فحدثتاه وتولى موسى عليه السلام إلى الظل فقال ربى انى لما أنزلت إلى من خير فقير قال فجاءته إحداهما تمشى على استحياء واضعة ثوبها على وجهها ليست بسلفع من الناس خراجة ولاجة قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها موسى (عليه السلام) فقال لها امشي خ لفي وانعتي لي الطريق فأنى أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف جسدك فلما انتهى إلى أبيها قص عليه فقالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين قال يا بنية ما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فرفعه الحجر ولا يطيقه إلا عشرة رجال وأما أمانته فقال امشي خلفي وانعتي لي الطريق فأنى أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك فزاد ذلك رغبة فيه فقال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين إلى قوله ستجدني إن شاء الله من الصالحين أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت قال موسى (عليه السلام) ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على قال نعم قال الله على ما تقول وكيل فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج إليه وزوجه صفورا وأختها شرفا وهما التي كانتا تذودان) (٦٢) ، وكان (الماء) معجزة من معاجزه (عليه السلام) كما جاء في قوله تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْ قِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (٦٣) ، (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ،وإذ استسقى موسى لقومه : لما عطشوا في التيه . فقلنا اضرب بعصاك الحجر: اللام فيه للعهد، على ما روي أنه كان حجرا طوريا مربعا فحمله معه، وكا ن تنبع من كل وجه ثلاث أعين ، تسيل كل عين في جدول إلى سبط، كانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا . أو حجرا أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا أو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالادرة ففر به، فقال له جبرائيل : يقول لك الله تعالى : ارفع لي هذا الحجر، فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة، فحمله في مخلاته (٦٤). وقيل: كانت حجرة فيها اثنتا عشره حفرة، وكانت الحجرة من الكذان وهي حجارة رخوة كأنها مدرة، وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذونه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء (٦٥). أو للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، ...) (٦٦). ولم ينته ما (للماء) من دور في حياة نبي الله موسى (عليه السلام) فنرى أنّ هنالك

محطة أخرى وإثارة قرآنية ثانية كان (للماء) دور رئيس فيها مع النبي موسى (عليه السلام) من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الرجل الصالح كما جاء في قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَ هُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً) (٦٧) ، ونرى أنّ لمفردة (الماء) جانباً إعجازياً في مجريات الآية الكريمة والتي جاء في تفسيرها : (واختلف الناس في مجمع البحرين فقال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم وقالت فرقة مجمع البحرين هو عند طنجة وقيل غير هذا واختلف في الحقب فقال ابن عباس وغيره الحقب أزما ن غر محدودة وقال عبد الله بن عمر ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقيل سنة سبحانه بلغا مجمع بينهما الضمير في بينهما للبحرين قاله : مجاهد وفي الحديث الصحيح ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر وأتخذ سبيله في البحر سربا أي مسلكا في جوف الماء وأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه حديث غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وي عني بالنصب تعب الطريق قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به قال له فتاه عند إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت لأنه يريد ذكر ما جرى فيه إنسانية أخبرنا أي أن أذكره إلا الشيطان اتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجي بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وإني بأرضك السلام قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال معم آتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبر ا يعني لا تطيق أن تصبر على ما تراه من عملي لأن الظواهر التي هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه يريد علم الباطن وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه يريد علم الظاهر فقا ل له موسى ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا أي حتى اشرح لك ما ينبغ شرحه فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغي نول يقول بغير أجر فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا أمرا أي شنيعا من الأمور وقال مجاهد الأمر المنكر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني ب ما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ... بعد ذلك خرجا من السفينة) . (٦٨) فنرى إن لمفردة (الماء) دورا كبيرا وأثر بالغ في حياة نبي الله موسى (عليه السلام) منذ ولادته حتى لقاءه بفرعون كما جاء واضحا جليا قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَا دُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٦٩) ، فنرى أنّ حركة الماء كانت حركة مسيطرة على كل أحداث ومجريات القصة ، ولمفردة (الماء) أيضا دور في

فاعل في تحريك المفردات الأخر بما يتلاءم مع سياق النص القرآني ، واتضاح المعنى . إن هذا التتابع للأحداث قد أسس لنا مبنىً حكائياً قام على تتابع الأحداث ؛ لأن (المتن الحكائي (. F. A P . L . E) هو : الحكاية التي يفترض أنّها قد حدثت في الواقع ، أي بمراعاة منطق التتابع والترتيب) (٧٠) ، فالمتأمل لقصة يمكن أنّ يستشف إن تتابع الأحداث كان تتابعا يسير على تطور الأحداث ، هذا فضلا عن العلاقة بين بني إسرائيل والحيتان في يوم السبت ، كما جاء في قوله تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٧١) . عند مطالعتنا لما جاء في التفاسير لهذه الآية المباركة نلحظ أنّ (للماء) دوراً اساسياً في مجريات هذه القصة القرآنية المباركة لأنه البيئة التي أحتوت الحيتان التي تتحدث عنها الآية الكريمة ، وكذلك تتحدث الآية عن القرية التي كانت حاضرة البحر والبحر هو (الماء) ، وقد جاء في تفسير هذه الآية : (عن عكرمة قال كانت قرية على ساحل البحر يقال لها ايلة وكان على ساحل البحر صنمان من حجارة مستقبلان الماء يقال لأحدهما لقيم والآخر لقمانة فأوحى الله سبحانه إلى السمك أن حج يوم السبت إلى الصنمين وأوحى إلى أهل القرية إني قد أمرت السمك أن يحجوا إلى الصنمين يوم السبت فلا تعرضوا للسمك يوم لا يمتنع منكم فإذا ذهب السبت فشانكم به فصيدوه فكان إذا طلع الفجر يوم السبت أقبل السمك شرعا إلى الصنمين لا يمتنع من آخذ يأخذه فظهر يوم السبت شيء من السمك في القرية فقالوا نأخذه يوم السبت فنأكله يوم الأحد فلما كان يوم السبت الآخر ظهر أكثر من ذلك فلما كان السبت الآخر ظهر السمك في القرية فقام إليهم قوم منهم فوعظوهم فقالوا اتقوا الله فقام آخرون فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما كان سبت من تلك الأسبات فشي السمك في القرية فقام الذين نهوا عن السوء فقالوا لا نبيت معكم الليلة في هذه القرية فقيل لهم لو أصبحتم فانقلبتم بذراريكم ونسائكم قالوا لا نبيت معكم الليلة في هذه القرية فان أصبحنا غدونا فأخرجنا ذرارينا وأمتعتنا من بين ظهرانيكم وكان القوم شاتين فلما أمسوا أغلقوا أبوابهم فلما أصبحوا لم يسمع القوم لهم صوتا ولم يروا سرجا خرج من القرية قالوا قد أصاب أهل القرية شر فبعثوا رجلا منهم ينظر إليهم فلما أتى القرية إذا الأبواب مغلقة عليهم فاطلع في دار فإذا هم قرود كلهم المرأة أنثى والرجل ذكر ثم اطلع في دار أخرى فإذا هم كذلك الصغير صغير والكبير كبير ورجع إلى القوم فقال يا قوم نزل بأهل القرية ما كنتم تحذرون ...) (٧٢) .

ثالثا : قصة النبي صالح (عليه السلام) وأثر الماء فيها

فقرة الحوار القرآني دائما معضدة بالحجة ، وهو حوار يتجه بأسلوبه إلى برهنة العقيدة والأيمان بالله الواحد الأحد ، فهو حوار يتجه دائما بالدلالة نحو إحقاق الحق والنهي عن الزيغ

والنأي عن السفه ، ولما كان الأسلوب هو الصلة بين القارئ وبين المؤلف للوقوف على الفكرة والشخصيات والحدث (٧٣) ، فإنّ الحوار هو الذي يقوم بالوظيفة الدرامية في بعث الحركة النفسية (٧٤) ، ويأتي الحدث بوصفه متطورا مع تطور القصة ومشاهدها ملتزما بحركة الشخصيات داخل إطار النص القصصي ومن قوة الحوار تتنامى لغة السرد ، وحين نقف عند شخصيات قصة نبي الله صالح (عليه السلام) نجد أيضا الشخصيات التي أشرنا لها في قصة نوح (عليه السلام) إذ إنّ الشخصيات النامية التي تتخذ الجانب السلبي من الحدث في إطار القصة حين لا يكون الطرف الأخر منطقيا مع نفسه في سلوكه فأن قوم صالح (عليه السلام) لا يقلون شأنا عن قوم نوح أو هود أو موسى وحتى قوم محمد (عليهم سلام من الله جميعا) الذين وقفوا ضد ما جاء به رسلهم من الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وهذه إلتفاتة أخرى في القصص القرآني ، إذ نرى الشخصيات النامية في القصص القرآني التي تقف في الطرف الآخر للدعوة حيث يتخذوا الجانب السلبي ، وينقادون إلى دوافعهم النفسية ، في حين قد يكون هنالك شخصيات نامية أخرى ولكن تكون منطقية صادقة ثابتة على المبدأ حين يكون الشخص ومن خلال مجريات أحداث القصة متكافئ مع نفسه غير متناقض في مواقفه ثابت على مبدأه رغم كل التحديات التي تواجهه (٧٥) ، ومن هنا كان النبي صالح (عليه السلام) نموذجا لتجسيد الشخصية الثابتة كما جاء في الآية المباركة : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٧٦) ، فنلحظ في سياق الآية القرآنية ، أنّ الحوار بدأ بالوعظ والإرشاد من النبي صالح (عليه السلام) إلى قومه فنبههم إلى صورة حسية تتجلى لهم عن طريق المشاهدة المرئية (قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً) وأيضا يحمل الخطاب في طياته صورة نفسية معنوية تتجسد في قوله (قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) وكأنّ المتأمل يجد بين أطواء النص زجر ونهي وتحذير مبطن ، ونلحظ أنّ الأعجاز القصصي قد تمثل في إحتواء النص على الشخصيات التي تتطلبها القصة الواحدة ، ومن ثم الإشارة إلى أحداث القصة في نصوص قرآنية أخرى وبصور مختلفة ، فحين جاء الحوار بين صالح (عليه السلام) وقومه كم ا في قوله تعالى (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَ لاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٧٧) ، وكذلك جاء ذكر القصة ذاتها في سورة قرآنية أخرى كما في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) (٧٨) ، وورد ذكر القصة نفسها في سورة أخرى كما جاء في قوله تعالى (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٧٩) ، وكذلك تمت الإشارة إلى القصة نفسها في سورة أخرى من سور القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى :(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)(٨٠) ،ويصور لنا القرآن الكريم من خلال آياته البينات أنّ الأحداث بدأت بالتصاعد بعد النهي والإنذار المتكرر من نبي الله صالح (عليه السلام) إلى قومه ا لذين تمادوا في غيهم ، ولم يتعضوا من كلام نبيهم

ويعودوا إلى رشدهم ، فنجد جوابهم إلى صالح (عليه السلام) كان سلبا وأرتفع الحدث إلى ذروته كما بينت لنا الآيات القرآنية الكريمة ، فجاء في قوله تعالى :(فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٨١) ، فعقروا الناقة وخالفوا أمر ربهم ثم خرجوا عن طوعه مهددين مستهينين بصالح (عليه السلام) ، كما جاء القرآن الكريم معبراً عن قولهم بالآية الكريمة : (وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)، فنرى أنّ الأحداث قد بلغت الذروة بعقر الناقة ، ومن ثم التحدي لصالح (عليه السلام) ، والاستهزاء بما أنذر به من عذاب واقع من الله عليهم في حال مخالفتهم لما جاء به ، العذاب الأليم ، وقد جاء في التفاسير : ((إن الله أوحى إلى صالح : قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم ولكم شرب يوم ، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء ... فيحلبونها، فلا يبقى صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها يومهم ذلك ، فإذا كان الليل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم ، فمكثوا بذلك ما شاء الله ، ثم إنهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها ، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم ولنا شرب يوم ، فجعلوا جعلا لرجل أحمر، أشقر ... فقتلها وهرب فصيلها ، واقتسموا لحمها فيما بينهم ، فأوحى الله إلى صالح قل لهم : إني مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيام ، فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم ، وإن هم لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث ، فقالوا : يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ،... فلم يتوبوا ولم يرجعوا،فلما كان نصف الليل أتاهم جبرائيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكباده)) (٨٢) ، وجاء في تفسير آخر شرحا لمجريات هذه القصة القرآنية الكريمة ، ((... قوله: إذ انبعث أشقاها يعني أحيمر ثمود . وقوله: فقال لهم رسول الله يعني بذلك جل ثناؤه: صالحا رسول الله (ص)، فقال لثمود صالح : ناقة الله وسقياها احذروا ناقة الله وسقياها، وإنما حذرهم سقيا الناقة، لأنه كان تقدم إليهم عن أمر الله، أن للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر، غير يوم الناقة، على ما قد بينت فيما مضى قبل، وكما: حدثنا بشرعن قتادة قال : فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها قسم الله الذي قسم لها من هذا الماء. وقوله: فكذبوه فعقروها يقول: فكذبوا صالحا في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شرب الناقة يوما، ولهم شرب يوم معلوم، وأن الله يحل بهم نقمته، إن هم عقروها ، ... فقال جل ثناؤه: فكذبوه فعقروها. وقوله: فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها يقول تعالى ذكره: فدمرعليهم ربهم بذنبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحا، وعقرهم ناقته فسواها يقول: فسوى الدمدمة عليهم جميعهم، فلم يفلت منهم أحد...)) (٨٣) .

من خلال ما جاء بالتفاسير لهذه الآية المباركة نرى أنّ الله سبحانه وتعالى جعل (الماء) هو محط الاختبار والامتحان لقوم نبي الله صالح (عليه السلام) فكان قطب الرحا التي تدور حوله الأحداث ومجريات القصة القرآنية .

رابعا : قصة النبي يونس (عليه السلام) وأثر (الماء) فيها

قال تعالى : (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)(٨٤) ، تحكي لنا الآيات القرآنية المباركة قصة نبي الله يونس (عليه السلام) ، الذي لقبه الله سبحانه وتعالى (بذي النون) ، وكيف أنّ الله استجاب دعوته بعد أن إلتقمه الحوت ، فوردت مفردة (الماء) ضمنا في أطواء الآية القرآنية المباركة ؛ لأن مكان الحوت هو (ماء البحر) ، فدخلت مفردة (الماء) في قصة نبي الله يونس (عليه السلام) من خلال (الظلمات) التي أشارت إليها الآية الكريمة ، وقد جا ء في تفسير هذه الآية المباركة : (ذلك ما حكاه الله عن يونس عليه السلام وقد دعا به وهو في بطن الحوت الذي إلتقمه قال تعالى : (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ). كان عليه السلام - على ما يقصه القرآن - قد سأل ربه أن ينزل على قومه العذاب فأجابه إلى ذلك فأخبرهم به فلما أشرف عليهم العذاب بالنزول تابوا إلى ربهم فرفع عنهم العذاب، ولما شاهد يونس ذلك ترك قومه، وذهب لوجهه حتى ركب السفينة (التي على الماء) فاعترضها حوت (الذي في الماء) فساهمهم في أن يدفعوا الحوت بإلقاء رجل منهم إليه ليلتقمه وينصرف عن الباقين، فخرجت القرعة باسمه فألقى في البحر (الماء) فالتقمه الحوت فكان يسبح الله في بطنه إلى أن أمره الله أن يلقيه إلى ساحل البحر، ولم يكن ذلك إلا تأديبا إلهيا يؤدب به أنبياءه على حسب ما يقتضيه مختلف أحوالهم، وقد قال تعالى : (ولو لا أنه كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) (٨٥) ، فقال: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (٨٦) . ولم يذكر مسألته - وهى الرجوع إلى مقامه العبودي السابق - عدا لنفسه من دون لياقة الاستعطاء واستحقاق العطاء استغراقا في الحياء والخجل، والدليل على مسألته قوله تعالى بعد الآية السابقة : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) . والدليل على أن مسألته كانت هي الرجوع إلى سابق مقامه قوله تعالى : (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)(٨٧).))(٨٨) .

وجاء في تفسير آخر لهذه ألآية الكريمة :

(((وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)(٨٩) هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وسخالها، فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى : (فَلَوْلَا

كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (٩٠) وأمّا يونس فإنّه ذهب فركب قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا قال الله تعالى: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ) (٩١) ، أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر ... حوتا يشق البحار حتى جاء فألتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فإن يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون له سجنا ، وقوله (وذا النون) يعني الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة. وقوله " إذ ذهب مغاضبا " قال الضحاك لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) ، (أي نضيق عليه في بطن الحوت ... ومنه قوله تعالى) فالتقى الماء على أمر قد قدر (أي قدر) وقوله فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ... وقال سالم بن أبي الجعد: ظلمة حوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى في قراره فعند ذلك وهنالك قال : (...لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٩٢) ، وقال عوف الأعرابي لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس، وقال سعيد بن أبي الحسن البصري مكث في بطن الحوت أربعين يوما رواهما ابن جرير وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمه سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قا لوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى (وهو سقيم) وروى ابن أبي حاتم ... قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله ع ليه وسلم أن يونس النبي عليه السلام حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذاك ؟ قالوا لا يا رب ومن هو ؟

قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه في العراء، وقوله " فاستجبنا له ونجيناه من الغم " أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات " وكذلك

ننجي المؤمنين " أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا ولاسيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الأنبياء،...) (٩٣).

ومن خلال ما جاء بمجريات أحداث قصة نبي الله يونس (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) نجد أنّ هنالك دورا أساسيا لمفردة (الماء) في أحداث القصة ، فمن خلال التفاسير نجد ورود المفردات التالية (السفينة التي ركبها بعد أن ذهب مغاضبا ، والسفينة يحملها (الماء) ثم ذكر المفسر هنالك أمواجاً تتلاقف السفينة خشي الراكبون من الأمواج على حياتهم ، وهذه الأمواج هي (الماء) بعينه ، ثم قرروا رمي يونس (عليه السلام) في البحر بعد أن وقعت عليه القرعة لثلاث مرات ، والبحر هو (الماء) ، ثم جاء الحوت بوحي من الله فلتقم يونس (عليه السلام) والحوت من سكان البحر أي (الماء) مكانه ، بعد ذلك تحدثنا الآية الكريمة والمفسرون عن الظلمات التي أحاطت بنبي الله يونس (عليه السلام) وبضمنها ظلمة البحر (الماء) ، وأيضا كان الأعجاز في أن سمع نبي الله يونس (عليه السلام) تسبيح الحجر والحصا والمخلوقات التي في (ماء) البحر ، فكان (الماء) بما فيه أن يكون سببا في أن يتخذ نبي الله يونس (عليه السلام) العبرة من تسبيحهم ويسبح لله ويستغفره عما فعل . فلو تأملنا بما جاء في الآيات المباركات السابقة نجد أن المشهد القصصي قد تحرك بأذن الله (عز وجل) فجاءت مفردة (الماء) إما صريحة أو منطمرة في الإيحاء لتصل إلى ذروة البناء القصصي ، فاستعملت تارة رحمة ربانية ، وتارة تكون أداة لتنفيذ الوعد الإلهي بإنزاع العذاب فيهلك بها الكافرون، فوجد البحث حركة كلمة (الماء) داخل إطار النص القصصي القرآني مصدر صيرورة الأحداث والفيصل الذي تنطلق منه ، وهي مرتبطة بأفعال الناس ، فان هم أحسنوا ، أحسن الله إليهم ، وإن أساءوا عاقبهم الله (سبحانه وتعالى) هلاكاً به ، أو حرماناً منه ، ونجد كذلك أن مجيء مفردة (الماء) في القصص القرآني قد رافقتها غايةٌ إعجازيةٌ فنرى وكما نعرف إن (الماء) مصدر الحياة يصبح مصدر الشؤم والهلاك حين يسئ الناس ، وقد حدثنا القرآن الكريم أن عقوبة ا لأنبياء كانت هي الأخرى (للماء) دوراً فيها ، كما مر بناء في قصة نبي الله يونس (عليه السلام) ، ولو أمعنا النظر في كل القصص التي أشرنا إليها ، نجد أن آيات القران الكريم السابقة عبارة عن قصة وحكاية مشوقة مملوءة بالعبر ، والموعظة معا لبني البشر ، قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(٩٤) ،مستعملا في كل ذلك المفردات الحية،والتي تعطي دقة في التعبير، فكانت كلمة (الماء) هي المؤثر الأساس الذي بنيت عليه أحداث القصص القرآنية السابقة ، وقد دخل (الماء) في قصص قرآنية متعددة أخر ، منها :

قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) وكيف ألقي بالجب (البئر) وفي السياق القرآني الذي تحدث عن قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) كما جاء في قوله تعالى (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) (٩٥) نجد كيف أنّ (ماء) البئر دخل عنصر اً رئيسياً في الأحداث وكيف كان القحط الذي مر بالبلاد بسبب انعدام (ماء) المطر ، وبنهاية مطاف القصة القرآنية نلحظ إن (الماء) كان سببا في

نهاية الأزمة التي عصفت بالبلاد وقت ذاك بعد هطول (ماء) المطر . وكذلك دخل (الماء) عنصرا أساس في معركة (بدر) ، كما جاء في الروايات والأحاديث المعتبرة وقد حدثنا القرآن الكريم عنها وعن النصر الذي أراده الله (سبحانه وتعالى) للمسلمين كما جاء في قوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٩٦) ، وجاء (الماء) في قصة نبي الله أيوب (عليه السلام) وكان سبباً مهماً في إنهاء معاناته من المرض كما جاء في قوله تعالى : (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (٩٧) ، حيث جاء في تفسير هذه الآية الكريمة : ((خرج أيّوب (عليه السلام) سالماً من بودقة الامتحان الإلهي، ونزول الرحمة الإلهيّة عليه يبدأ من هنا، إذ صدر إليه الأمر (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب). " اركض" مشتقّة من (ركض) على وزن (فقر وتعني دكّ الأرض بالرجل، وأحياناً تأتي بمعنى الركض، وهنا تعطي المعنى الأوّل . فالله الذي فجّر عين زمزم في صحراء يابسة وحارقة تحت أقدام الطفل الرضيع إسماعيل، هو الذي أصدر أمراً بتفجّر عين باردة لأيّوب ليشرب منها ويغتسل بمائها للشفاء من كافّة الأمراض التي أصابته (الظاهرية والباطنية). ويرى بعضهم أنّ تلك العين عبارة عن ماء معدني صالح للشرب، وفيه شفاء لكلّ الأمراض، ومهما كان فإنّه من لطف الله ورحمته النازلة على نبيّه الصابر المقاوم أيّوب (عليه السلام). (فمغتسل) يعني الماء الذي يغسل به، وقال بعضهم : إنّها تعني محل الغسل، لكنّ المعنى الأوّل أصحّ . وعلى أيّة حال، فإنّ وصف ذلك الماء بالبارد، قد يكون إشارة إلى التأثيرات الخاصّة التي يتركها الماء البارد على سلامة الجسم، وذلك ما أثبته الطبّ الحديث اليوم. إضافةً إلى أنّه إشارة لطيفة إلى أنّ كمال ماء الغسل يتمّ إن كان طاهراً ونظيفاً كماء الشرب .))(٩٨) ((والشاهد على هذا ما جاء في الروايات من استحباب شرب جرعة من الماء قبل الاستحمام به))(٩٩).

وقد فسرت الآية الكريمة في موضع آخر :

((" هذا مغتسل بارد وشراب " أي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به، فذهب الداء من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه . وقال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى فأذهب الله تعالى باطن دائه . ونحوه عن الحسن ومقاتل، قال مقاتل: نبعت عين حانزة واغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبا . وقيل: أمر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده . والمغتسل الماء الذي يغتسل به، قال القتبي . وقيل: إنه الموضع الذي يغتسل فيه، قال مقاتل . الجوهري: واغتسلت بالماء، والغسول الماء الذي يغتسل به، وكذلك المغتسل، قال الله تعالى : " هذا مغتسل بارد وشراب " والمغتسل أيضا الذي يغتسل فيه، والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل.)) (١٠٠)

نتائج البحث

بعد أن مّن الله تعالى علينا بإتمام هذا البحث لابد لنا من الإشارة الى أهم النتائج التي توصلنا إليها في رحلتنا مع (أثر مفردة الماء في القصص القرآني)، فنوجز ما توصلنا إليه في هذه الرحلة الممتعة :

- تبين من خلال البحث أنّ حركة كلمة (الماء) في السياق القرآني ترتبط بغايةٍ آلهيةٍ مراعيةً حال المخاطب والحدث من جانب ، ومن جانب آخر جمعت بين تكوين الخطاب القرآني أسلوبياً وبين قصديتهِ ، فأنصهر ا لمضمون في بنية النص ، جعلها أي (الكلمة) قطباً تدور حولها المعاني لإيصال مرام الخطاب الآلهي الى المتلقي .

- كان لكلمة (الماء) دورُ مهم في توجيه المعنى ، وأضحت لها وظيفة معنويةٌ أَثْرَتْ سياق القصص القرآني، لأنها مختارةٌ بعنايةٍ آلهيةٌ ومراعيةٌ لأحوال المخاطب ومصورةً أحداث القصة القرآنية بإسلوبٍ إعجازي .

- ظهر للبحث أنّ كامل عناصر القصة القرآنية التي تضمنت مفردة (الماء) مبثوثة في سور أُخر، فبان تكامل الموضوع القصصي ووحدتهُ مع بنية القصة القرآنية ، بينما لا نجد الأمر ذاته في القصة البشرية التي تتطلب تتابعاً في الأحداث تكتب في زمان واحد .

- وجد البحث دوراً مهماً لمفردة (الماء) من خلال انضمامها الى السياق القرآني ، ويتجلى ذلك في تحريك السياق حركةً إعجازيةً مزجت بين الإيحاء الد لالي والتعبير الفني وأسباب النزول ، للوصول الى تحقيق قصدية القصص القرآني .

- تبين للبحث أنّ هنالك تنوعاً في أساليب التعبير المراعية للنفس الإنسانية ، وكان المحرك لها هو مجئ مفردة (الماء) في سياق القصة القرآنية ، فأشتركت الكلمة في رسم صور بيانية داخل القوصة القرآنة ، فمرةً جاءت القصة ترغيباً ، وتارةً ترهيباً ، الأمر الذي جعل لحركةِ كلمة (الماء) في سياق القصة القرآنية وظيفةً نفسيةً عاليةُ المضامين ، فهي من جانب نفعيةٌ إرشادية مشجعةً للإنسانِ على سلوك طريق الخير ، ومن جانب آخر إنها إفهاميةٌ موضحةً له وبال الأعمال السيئة عليه في اليوم الآخر ، وكان ذلك واضحاً من خلال أحداث القصص القرآني ، فحققت حركة كلمة (الماء) وظائف نفعية إفهامية أسهمت في جعل المتلقي على بينة ٍ من عواقب الأمور من خلال إنضمامها الى سياق القصة القرآنية .

والحمدُ للهِ ربَ العالمين

الهوامش

١) ظ : بيان إعجاز القرآن ، الخطابي / ٢٥ ـ ٢٩ ، و ظ : الإعجاز البياني للقران بين النظرية والتطبيق ، د. حقي محمد شرف / ١٢٤

(٢) ظ : محاضرات ألقاها د . صباح عباس عنوز على طلبة الدكتوراه في كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠ م

(٣) النقد الأدبي الحديث ، د . محمد غنيمي هلال / ٥٦٥

(٤) ض : تفسير البغوي : ٤ / ١٣١

(٥) نهج البلاغة ، خطبة ١١٠

(٦) نوح / ١

(٧) نوح / ٧

(٨) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال / ٥٦٥

(٩) نوح / ١

(١٠) هود / ٢

(١١) نوح / ٥ ـ ٢٢

(١٢) نوح / ٢٢ ـ ٢٤

(١٣) نوح / ٢٦ ـ ٢٧

(١٤) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال / ٥٦٧

(١٥)الأنبياء / ٧٦

(١٦) ظ : محاضرات الدكتور صباح عنوز التي ألقاها على طلبة الماجستير ، كلية الفقه ، ٢٠١٠ـ ٢٠١١ / ٣

(١٧) هود / ٤٠

(١٨) القمر / ١٠

(١٩) هود / ٣٦

(٢٠) القمر / ١٠

(٢١) نوح / ٢٦

(٢٢) هود / ٤٠

(٢٣) هود / ٤٦

(٢٤) الأنبياء / ٧٦

(٢٥) هود ،/ ٤٢

(٢٦) هود /٤٤

(٢٧) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ١٠ / ٢٤٣ ـ ٢٤٧

(٢٨) ظ : محاضرات الدكتور صباح عباس عنوز ألقيت على طلبة الماجستير ، كلية الفقه ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٠ ـ ٢٠١١ / ٣

(٢٩) هود / ٣٧

(٣٠) الشعراء / ١١٩ ـ ١٢٠

(٣١) تفسير الأمثل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٦ / ٣٣٤

(٣٢) نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة ، إبراهيم الخطيب /١٨٠

(٣٣) المصدر نفسه / ١٨٠

(٣٤) طه / ٣٩

(٣٥) تفسير الأمثل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٩ / ٥٥٦

(٣٦) طه / ٣٩

(٣٧) القصص / ٧

(٣٨) القصص / ٨

(٣٩) القصص / ٦

(٤٠) القصص / ٨

(٤١) القصص / ٩

(٤٢) القصص / ٩

(٤٣) القصص / ١٠

(٤٤) القصص / ١١

(٤٥) القصص / ١٢

(٤٦) القصص / ١٣

(٤٧) القصص / ١٠

(٤٨) القصص / ١١

(٤٩) القصص / ١٢

(٥٠) القصص / ١٢

(٥١) القصص / ١٣

(٥٢) تفسير ابن كثير ، ابن كثير : ٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٤

(٥٣) الشعراء / ٦٣

(٥٤) الشعراء / ٥٢

(٥٥) طه / ٧٨

(٥٦) الشعراء / ٥٤ ـ ٥٥

(٥٧) الأعراف / ١٢٩

(٥٨) الأعراف / ٢٩١

(٥٩) الشعراء / ٦٣

(٦٠) تفسير التبيان ، الشيخ الطوسي : ١ / ٢٣٠ـ ٢٣١

(٦١) القصص / ٢

(٦٢) تفسير الدر المثور ، جلال الدين السيوطي : ٥ / ١٢٤ ـ ١٢٥

(٦٣) البقرة / ٦٠

(٦٤) الكشاف : ١ / ١٤٤ ، ذيل الآية الشريفة (وإذ استسقى موسى لقومه)

(٦٥) مجمع البيان : ١-٢ / ١٢١

(٦٦) تفسير كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي : ١ / ٢٥٦

(٦٧) الكهف / ٦٣

(٦٨) تفسير الثعالبي ، الثعالبي : ٣ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥

(٦٩) القصص / ٧

(٧٠) نظرية المنهج الشكلي / ٢٢٩

(٧١) الأعراف / ١٦٣

(٧٢) تفسير الدر المثور ، جلال الدين السيوطي : ٣ / ١٣٨

(٧٣) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال / ٦٥٨

(٧٤) ظ : المصدر نفسه / ٦٦٠

(٧٥) ظ : المصدر نفسه / ٥٦٦

(٧٦) الأعراف / ٧٣

(٧٧) الأعراف / ٧٣

(٧٨) هود / ٦٤

(٧٩) الشعراء / ١٥٥ ـ ١٥٦

(٨٠) الشمس / ١٣

(٨١) الأعراف / ٧٧

(٨٢) تفسير الاصفي ، الفيض الكاشاني : ١ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤

(٨٣) تفسير جامع البيان ، ابن جرير الطبري : ٣٠ / ٢٧٠ ـ ٢٧١

(٨٤) الأنبياء / ٨٧ ـ ٨٨

(٨٥) الصافات / ١٤٤

(٨٦) الأنبياء / ٨٨

(٨٧) الصافات / ١٤٥ ـ ١٤٧

(٨٨) تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي : ٦ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧

(٨٩) الأنبياء / ٨٧ ـ ٨٨

(٩٠) يونس / ٩٨

(٩١) الصافات / ١٤١

(٩٢) الأنبياء / ٨٧

(٩٣) تفسير ابن كثير ، ابن كثير : ٣ / ٢٠٠ ـ ٢٠٢

(٩٤) يوسف / ٣

(٩٥) يوسف / ١٥

(٩٦) آل عمران / ١٢٣

(٩٧) المصدر نفسه / ٤٢

(٩٨) تفسير الأمثل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ١٤ / ٥٢٠

(٩٩) وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، المجلد الأول ، الباب الثالث عشر من أبواب آداب الحمام ، الحديث ١٣

(١٠٠) تفسير القرطبي ، القرطبي : ١٥ / ٢١

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم .

- تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، تصحيح وتعليق الشيخ حسين الأعلمي ، ط ٢ ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ١٤١٦ق

- تفسير القرطبي ، القرطبي ، ج١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

- - تفسير أبن كثير ، أبن كثير الدمشقي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

- - تفسير كنز الدقائق ، الميرزا محمد المشهدي ، ط١ ، مؤسسة النشر الأسلامي ، قم المقدسة ، ١٤٠٧ هـ

- جامع البيان ، إبن جرير الطبري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م

- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) ، ط٢ ، مطبعة إحياء التراث ، قم المقدسة ، ١٤١٤

- الأصفى في تفسير ا لقرآن ، الشيخ محمد حسن الفيض الكاشاني ، تحقيق مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، قم المقدسة ، ط١ ،مكتب الأعلام الإسلامي ، ١٤١٨ق ـ ١٣٧٦ ش ـ الدرالمنثور ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان

- الميزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي ، منشورات ج ماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة

- تفسير التبيان ، الشيخ الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩ هـ . ق

الملخص

أن مفردة (الماء) حينما تدخل الى سياق القصص القرآني فأنها تكون بمثابة قطب يدور حولها المعنى ، لأنها تمنح القصة القرآنية حيوية دلالية ، فتصور الأحداث وكأنها ماثلة أمام المتلقي أو السامع ، بصورة حسية مرئية ، ومن خلال ذلك فقد تناول البحث عدة قصص قرآنية وردت فيها مفردة (الماء) وكان لها أثر بالغ في أحداث ومجريات القصة القرآنية ، ونلخص ما جاء بهذه القصص القرآنية بالآتي :

تناول البحث قصة نبي الله نوح (عليه السلام) وكيف (للماء) أثر في أحداث القصة وبين البحث كذلك كيف كان (للماء) دور في حمل سفينة نبي الله نوح (عليه السلام) التي حملت من كل زوجين أثنين ، وبذلك تم الحفاظ على سلالة كل أنواع المخلوقات من الانقراض ، ومن خلال مجريات القصة القرآنية التي أخبرتنا بالكيفية التي قضى الله سبحانه وتعالى على المكذبين بدعوة نبيه نوح (عليه السلام) ، وكان (الماء) هو المحور في نهاية القصة ، وبينت القصة كيف أهلك الله به المكذبين من قوم نبيه نوح (عليه السلام) .

وقد تعرض البحث في القصة الثانية الى قصة نبي الله موسى (عليه السلام) ، وبين لنا كيف كان (للماء) أثر بالغ في أحداثها وفي حياة نبي الله موسى (عليه السلام) فرافقه (الماء) وحافظ على حياته مذ طفولته وكذلك كان (الماء) سبباً في زواجه ، وفي نهاية القصة القرآنية التي تجسد لنا أحداث كثيرة ومهولة ، نرى إن (الماء) تدخل مرة أخرى في إنقاذ نبي الله موسى (عليه السلام) وجماعته من فرعون وجيشه الكبير ، وترسم لنا القصة القرآنية من خلال (الماء) صورة محسوسة مرئية ماثلة أمام المتلقي ، في كيفية انفلاق البحر الى جزأين كبيرين لعبور نبي الله موسى (عليه السلام) وانطباق (ماء) البحر على جيش فرعون وبذلك نجا موسى (عليه السلام) ومن معه وهلك فرعون وجيشه ، وهكذا كان (الماء) أس هذه القصة القرآنية .

وجاءت القصة القرآنية الثالثة في هذا البحث تحدثنا عن قصة نبي الله صالح (عليه السلام) وأثر مفردة (الماء) في أحداثها ، وكيف كان (للماء) دور في أحداثها ، ومجيء (الماء) كاختبار لقوم صالح (عليه السلام) ، ومعرفة مدى امتثالهم لأوامره التي هي أوامر صادرة من الله سبحانه الى نبيه (عليه السلام) ، فعندما قَسّمَ نبي الله صالح (الماء) بينهم وبين الناقة ، يوم لهم يشربون من (الماء) ويستخدمونه وبذلك لا تقترب الناقة من (الماء) في هذا اليوم ، وعلى القوم لا يقتربون من (الماء) في اليوم التالي الذي خصص للناقة ، فلم يلتزم القوم بذلك ، وقتلوا الناقة ، فأنزل الله سبحانه غضبه عليهم ، وأهلكهم جميعاً ، ومن خلال ذلك نرى أن (للماء) بأحداث هذه القصة دوراً أساسيا وكبيراً في مجرياتها .

وكانت القصة القرآنية الرابعة التي تناولها البحث تحكي لنا قصة ن بي الله يونس (عليه السلام) مع قومه ، الذين لم يستجيبوا لدعوته عندما دعاهم لعبادة الله (سبحانه وتعالى) ، وعند سأل الله (جل وعلا) أن ينزل غضبه عليهم ، ولما رأوا العذاب واقع بهم ، تابوا الى الله ودعوه دعوةً خالصة متوسلين صادقين بتوسلهم إلى الله ليرفع عن هم العذاب ، استجاب لهم ورفع العذاب عنهم ، مما أدى بيونس أن يذهب حزنان لرفع العذاب عنهم كونهم أُناس غير صالحين ، وركب في سفينة في عرض (الماء) أعترض السفينة حوت داخل (الماء) وأراد أن يقلب السفينة ، ولكن ركاب السفينة اقترحوا لأن يضحوا بأحد ركاب السفينة لي رموه للحوت داخل (الماء) ، وعند وقعت القرعة على نبي الله يونس (عليه السلام) رموه الى (الماء) وألتقمه الحوت ، فلبث في داخل بطن الحوت وداخل (الماء) مسبحاً لله سبحانه ، وبعد ذلك ، قَبلَ الله توبته ، وقذفه الحوت من داخل بطنه الى (الماء) ثم الى اليابسة ، وعاد نبي الله يونس (عليه السلام) الى قومه .

وهكذا كان (الماء) هو بيئة القصة القرآنية في كل أحداث ومجريات القصص القرآنية السابقة ، ويمكن أن نلخص نتائج البحث بما يأتي :

١- أتضح من خلال البحث أن حركة مفردة (الماء) في السياق القرآني ترتبط بغاية آلهية مراعية لحال المخاطب في تصوير الحدث .

٢- كان لكلمة (الماء) وظيفة معنوية أَثْرَتْ سياق القصة القرآنية ، بينما لا نجد ذلك في القصة البشرية التي تتطلب تتابعاً للأحداث في زمن واحد .

٣- جاءت حركة مفردة (الماء) في سياق القصة القرآنية مازجةً بين الإيحاء الدلالي والتعبير الفني وأسباب النزول .

٤- نجد ورود كلمة (الماء) في سياق القصة القرآنية بصيغة الترغيب تارةً ، وأخرى معبرةً عن الترهيب ، وتارة كانت أداةً للاختبار ، وهكذا تتعدد وظائف مفردة (الماء) في سياق القصص القرآني .

SUMMARY

The subject of thesis was chosenof great importance of this topicin terms of explanatory to learn some secrets of the Holy Quran; therefore, thesis entitled "Movement of the word in verses of the Quran" "water” as sample” an explanatorystudy. Then came the introduction and preamble, which included "the word and its

importance in the Holy Quran" and the meanings of idiom "word" in the context of Quranic verses, the word idiomatically and Syntactically, and sections of the word according to grammarian. And after preamble, came thesischapters, were divided into three chapters, eachchapterconsisted of three sections, in some the chapters are preceded by forwardwere as follows:

Chapter (1): explanatory reasons to the "word" movement in the Koran.

Section (1): linguistic and contextual reasons "for the word" in the Quranicverses.

Section(2):the technical reasons for the movement of the word "water" in theQuranic verses.

Section(3): the explanatory reasons for the movement of "the word" in the Quranicverses.

Chapter (2): The purpose of the explanatory use of the word "water" in the Quranic verses.

Section(1):the word “water”, "and their explanatorysynonyms in the Quranic verses.

Section(2):the word "water" and miraculousimplications in the Quranic verses.

Section(3): the functions of the word "water" in the Koran.

Foreword

Section(1):psychological function of the word "water" in the Quranic verses.

Section(2): life function of the word "water" in the Quranic verses.

Section(3): jurisprudential function of the word "water" in the Quranicverses.

And I have found through thesis that “the word” has a movement and suggestive meaning changedcontext according to their location of the Quranic verses. Once we find that the word "water" in the Quraniccontext a reason for a living, once a cause of torment and woe and comes in the context of temptation or intimidation through its accession to the context in Quranicverses, and we see "the word "gave indications of the commands and prohibitions, provisions and questions and included all of the big and small aspects of life, for it has come through the context of Quranic verses.

PREPARED BY:

Ali KadhimManhi Al-Fayadh